مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية
ISSN :2600-6286 / E-ISSN :2661-7706
المجلد06 / العدد:02 (2022)
ص ص.(416-436)

الحرب الهجينة في الاستراتيجية العسكرية الروسية " الحرب على أوكرانيا نموذجا"

the hybrid war in Russian military strategy "War on Ukraine is a model

ط.د. معيزي ليندة [1]، مخبر الأمن القومي الجزائري، جامعة تيسمسيلت (الجزائر)
Lynda.maizi@cuniv-tissemsilt.dz
د.هقاني أيوب[2]، مخبر الأمن القومي الجزائري، جامعة تيسمسيلت (الجزائر)
Dehgani.ayoub@cuniv-tissemsilt.dz

تاريخ الاستلام: 2022/07/06 تاريخ القبول: 2022/12/04 تاريخ النشر: 2022/12/27

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى معالجة موضوع الاستراتيجية الروسية تجاه أوكرانيا من خلال التركيز على نمط "الحرب الهجينة" التي تبنتها روسيا عبر الاستخدام الواسع لمختلف الوسائل العسكرية وغير العسكرية لتحقيق أهداف الحرب، وتعد الأزمة في أوكرانيا من أكثر الأزمات الجيوسياسية تعقيدا، فهي تشكل محورا هام في الصراع بين مختلف الفواعل الدولية (الولايات المتحدة الأمريكية، الإتحاد الأوروبي، روسيا).

لذلك تحاول هذه الدراسة تحليل المساعي الروسية من خلال سيطرتها على المحاور الجيوبوليتيكية في محيطها الحيوي الأوروبي-الآسيوي، الأمر الذي أثار ردة فعل غربية تمثلت في إصدار حزمة من العقوبات عليها تبعا لمكانة أوكرانيا في معادلات الطاقة الأورو-روسية، والتي أثرت تأثيرا بالغا في مجريات الأزمة.

الكلمات المفتاحية: الحرب الهجينة، حروب الجيل الخامس، الاستراتيجية الروسية؛ أوكرانيا؛ القوى الدولية.

Abstract:

This paper aims to address the issue of the Russian strategy towards Ukraine by highlighting a new term that has emerged with the development of generations of wars over time, which is called "hybrid war". produced by Russia through the widespread use of various military and non-military means to restore its place in the international arena. The crisis in Ukraine is one of the most complex geopolitical crises. It is an important focus in the conflict between various international actors (United States of America, European Union, Russia).

Therefore, this study attempts to analyze the Russian endeavors through its control over the geopolitical axes in its Eurasian biosphere, which provoked Western reactions, by imposing a number of sanctions on it depending on Ukraine's position in the Euro-Russian energy equations, which greatly affected the course of the crisis.

keywords hybrid warfare, fifth-generation wars, Russian strategy; Ukraine; international powers.

مقدمة:

لا شك أنّ مفهوم الحرب قد تغيّر كثيرا بفعل التطور التكنولوجي، فرغم وجوده كممارسة تقليدية وتاريخية بين القوى على اختلاف أسبابه منذ القديم، إلا أنّ أنواعه واستراتيجياته في العصر الحديث اختلفت كثيرا عما كانت عليه سابقا، وقد اتضح هذا جليا مع ظهور نمط جديد اصطلح عليه بالحرب الهجينة.

ونظرا لتأزم الوضع وتسارع الأحداث بين روسيا وأوكرانيا والحرب الناتجة عن تعارض المصالح الاقتصادية والسّياسية بينهما، مثل محاولة انضمام أوكرانيا إلى حلف الشمال الأطلسي، في المقابل رفض أوكرانيا ضمّ روسيا لشبه جزيرة القرم، ناهيك عن الاعتراف الروسي بجمهورية دونيتسك المعلنة من جانب واحد وجمهورية لوهانسك الشعبية، أعقبها دخول القوات المسلحة الروسية إلى منطقة دونباس في شرق أوكرانيا، وفي فيفري 2022 وبعد خطاب أعلن فيه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن بدأ عملية عسكرية لتجريد أوكرانيا من السلاح، بدأ القصف على مواقع في جميع أنحاء البلاد بما في ذلك مناطق العاصمة كييف.

وقد اعتبرت هذه الأحداث إضافة إلى العديد من المخطّطات الغامضة والمنسوبة لروسيا منذ بداية الأزمة من هجمات إلكترونية إلى الاغتيالات في الخارج والتدخل في الانتخابات الأمريكية وأعقدها الغزو الحالي لأوكرانيا، شكلا من أشكال الحرب الهجينة واستراتيجية من استراتيجياتها العسكرية.

إشكالية الدّراسة:

من خلال ما سبق طرحه، تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الإشكالية الرئيسية الآتية:

ما مظاهر وتجلّيات الحرب الهجينة في الاستراتيجية الروسية اتجاه أوكرانيا؟

فرضية الدّراسة: أصبحت الدول تستخدم في إدارة الصراع المسلح أدوات مختلفة تدمج فيها ما هو عسكري تكنولوجي وتقني، وأدوات اقتصادية كقطع إمدادات الغاز والنفط والقمح بالإضافة إلى تبنى دبلوماسية دفاعية تهدف إلى حشد التأييد الدولي وتحييد مواقف الدول المعادية.

المناهج المستخدمة:

نظرا لأهمّية المنهج التاريخي في كونه منهجا تفسيريا بامتياز، فقد اعتمدنا عليه من خلال تتبع تطور العلاقات الرّوسية –الأوكرانية في إبراز الظروف الإقليمية والدولية التي أسهمت في نشوء الأزمة بينهما. كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في تحليل الاستراتيجية الروسية تجاه أوكرانيا بهدف التعرف على أسباب الأزمة والعوامل المؤثرة في الحرب، وكذلك محاولة استشراف ما ستسفر عليه الأوضاع في المنطقة.

كما اعتمدت الدّراسة، على المنظور الواقعي الذي يرى أنّ العلاقات الدولية هي عبارة عن صراع لأجل القوة والسّيطرة، ويرى أنّ تفسير الظاهر السياسية يتأسس من فهم القوة والمصالح القومية للدول وما يقوم به صناع القرار. وهذا ما ينطبق على الأزمة الأوكرانية وما تنهجه روسيا تجاه أوكرانيا حاليا.

كما ترتكز الدراسة بدرجة أخصّ على النظرية الجيوبوليتيكية ذات التّفسير المترامي الأبعاد للمخططات السّياسية والحروب العالمية الرّاهنة من منظور اقتصادي جغرافي وطاقوي، فهي النظرية الأقرب لتفسير وقراءة الأزمة الأوكرانية الرّوسية لسببين اثنين؛ الأول يتعلق بمكانة واستراتيجية أوكرانيا في خريطة الطاقة وعلاقاتها مع الدول الغربية، ويتعلق الثاني بنوايا روسيا التوسعية والسيطرة على المنافذ الجيوبوليتكية مهما كانت تداعيات العلاقات وموازين القوى.

تقسيمات الدّراسة:

للإجابة على تساؤلات الدراسة وتحقيقا لأهدافها، تمّ تقسيمها إلى ثلاث محاور رئيسية؛ حيث تطرقنا في المحور الأول للإطار المفاهيمي للحرب الهجينة، ويتعلق بالمتغيرات الأساسية للدراسة، وهي الحرب الهجينة وخصائصها وكيف تنظر إليها القوى الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، الاتحاد الأوروبي).

تطرقنا في المحور الثاني إلى الحرب الهجينية في الاستراتيجية الروسية العسكرية في أوكرانيا، وذلك من خلال التعرف على حيثيات الأزمة الأوكرانية، وإبراز دور الرئيس بوتين في الاستراتيجية الجديدة، أما المحور الثالث فكان حول موقف الفواعل الدولية إزاء الحرب الأوكرانية تبعا لمكانتها في الساحة الدولية.

المحور الأول: السياق المفهومي للدراسة:

شهد العصر الحديث تحولات عميقة في مسار الحروب خاصة الانتقال بشكل تدريجي من الحروب الكلاسيكية بين دولتين إلى المواجهة بين عدة دول أو فواعل أو تنظيمات، وقد ظهرت مع هذا التّحول استراتيجيات حربية جديدة من خلال استثمار الثورة التكنولوجية والتّطور الكبير في هذا المجال.

ولم تأت هذه السّياسات من العدم، بل كانت نتيجة ما قام به المفكرون الغربيون في السياسات والحروب الخفية نحو السيطرة والقوة، وجابهه المحللون الروس بدورهم من خلال دراسة التحولات الراهنة في مجال الحرب، وهو ما شكل التّصور العام لطبيعة التغيير الذي حدث في التفكير العسكري الرّوسي.

أولا: ماهية وخصائص الحرب الهجينة:

1- **مفهوم الحرب الهجينة**: يعود مصطلح الحرب الهجينة إلى الحرب الشيشانية، أين مثل المجتمع الشيشاني الخاضع للنظام القبلي العشائري نموذجا للجمع بين الحرب

النظامية وغير النظامية بطريقة فعالة، وقد ظهرت كمصطلح في الدراسات والمراجع الأجنبية لأول مرة حين وصفها مقدم الجيش الأمريكي بيل نميث في التسعينيات من القرن الماضي بالقول: "إنّها نموذج عصري لحرب العصابات، يستعمل الثورات التكنولوجية الحديثة والوسائل المتطورة لحشد الدعم المعنوي (حداد، 2017، صفحة 116).

وعرفت مؤسسة راندا الحرب الهجينة على أنها "نشاطات خفية قابلة للإنكار تدعمها قوات تقليدية أو نووية بغرض التأثير على السياسة الداخلية للبلدان المستهدفة (الحرب الهجينة ..ماهي؟ وهل تخوضها روسيا في أوكرانيا؟، 2022). كما يرى الجندي السابق في مشاة البحرية الأمريكية فرانك هوفمان بأنّ الحرب الهجينة تتضمن مجموعة من أنماط الحروب المختلفة بما في ذلك القدرات التقليدية والتكتيكات والتشكيلات غير النظامية والأعمال الإرهابية بما فيها العنف العشوائي والإكراه والفوضى (John, Jocobs, & Kitzen, 2021)، ويرى هوفمان أيضا أن معظم الصراعات العادية وغير النظامية حدثت في مسارح وفي تكوينات واضحة، بينما أصبحت هذه القوات في الحرب الهجينة غير واضحة في ساحة المعركة ويتم دمجها عمليا وتكتيكيا (Harvey, 2016, p. 04). فحسب هوفمان، فإن تكتيكات حزب الله ضد جيش الدفاع الإسرائيلي خلال حرب 2006، يعدّ أبرز مثال عن الحرب الهجينة من خلال استخدام الحزب لصواريخ كروز c802 ووابل آخر من الصواريخ. (صدقي، 2015، صفحة 15).

وتُعرف الحرب الهجينة بالحرب المختلطة نتيجة المزج بين النهج العسكري وغير العسكري في آن واحد، وبالتالي فهي تقوم بالاستخدام المتزامن والتكيف للأسلحة التقليدية والحرب غير النظامية والمعلومات والإرهاب والسلوك الإجرامي في نفس ساحة المعركة لتحقيق أهداف سياسية (Harvey، 2016، صفحة 05).

2- خصائص الحرب الهجينة: تتسم الحرب الهجينة بميزات كثيرة تجعلها من أكبر الخيارات المطروحة أمام الدول في تحويل جيوشها التقليدية إلى جيوش حديثة وفق استراتيجيات فعالة تتميز بما يلي:

أ. الدرجة العالية من المرونة في القتال، وتعني الانتشار السريع والمواجهة وتغيير الخطط حسب الحاجة، مع تطوير القتال في ساحة المعركة.

ب. تجنب المواجهة المباشرة مع العدو وحرمانه من فرص استخدام القوة النارية المتفوقة، مع اختيار المكان والوقت المناسب لمواجهته ومهاجمته.

ج. تبني ما يعرف ب "ساحة المعركة المفتوحة"، وهذا من خلال عدم الاعتماد على الخطوط الثّابتة فقط.

د. استثمار النجاح الحاصل في عمليات الإغارة والضربات المفاجئة مع استغلال نقاط ضعف العدو لدعم الجهود الكبرى نحو تحقيق الأهداف.

هـ. الاستثمار في العدد القليل من الأفراد والمعدات غير المكلفة نسبيا؛ لأنه يمكن أن يردع الكثير من القوات التقليدية الأكثر تسلحا.

و. تأسيس قاعدة إعانات محلية ترافق الجيوش في تخزين الذخائر ومواد الإعاشة بأماكن متفرقة لتجنب صعوبة الحصول الإمدادات اللوجيستية.

ز. اعتماد مبدأ الانتشار الواسع كأفضل وسيلة للدفاع ومقاومة الاستطلاع، وتجنب الضربات الجوية المركزة للقدرة على اتخاذ التشكيل المناسب في التعامل مع العدو.

ح. اعتماد معيار النوعية بالنسبة للسّلاح الثّقيل بدلا من معيار الكمية مع الاستعانة بوحدات سريعة مضادة للمدرعات لصد مدرعات العدو وإلحاق الخسائر به.

ط. التّوسع في استخدام أنظمة الصواريخ الخاصة؛ لما توفره من مزايا تكتيكية متعددة بما في ذلك الدّقة والقوة النّارية والقوة التّدميرية، مما يجعلها أسلحة مناسبة وفعالة في أساليب القتال المختلطة (الزيداني، 2021، صفحة 20).

وفقا لهذا المنظور، تتميز الحرب الهجينة بالضبابية وصعوبة التّمييز بين ما هو موجود في ساحة المعركة وخارجها، فلا تشمل المجالات العسكرية فقط، بل تتعداها إلى المجالات الاجتماعية؛ كالسياسة والاقتصاد والثّقافة، ويستوجب على المشاركين في هذه الحرب أن يولوا اهتمامهم بجميع هذه العوامل، وفي هذا الشأن يقول "كياو ووانج: " من يريد أن يكسب حروب اليوم أو حروب الغد سيكون لزاما عليه الجمع بين موارد الحرب (العسكرية وغير العسكرية) ووضعها تحت تصرفه واستخدامها للانتصار في الحرب" (فريدمان، 2020، صفحة 32).

ثانيا: الحرب الهجينة وفق المنظور الروسي والغربي.

1-الحرب الهجينة من وجهة نظر روسيا: تعرّف القوات المسلحة الروسية الحرب الهجينة بأنّها "نهج ضمن حرب تقليدية أوسع، تستخدم فيه العمليات العسكرية، الحملات الإعلامية ومجموعة من الوسائل لتحقيق سياسة الدولة أو نشاط منطقة الرمادي الذي لا يصل إلى الحرب" (clark, 2020, p. 15)، لذا يعتبر المحللون الروس هدف الحرب الهجينة بأنها اكتساب القدرة على المدى طويل والتدخل في التوجه الاستراتيجي للدولة المستهدفة؛ فمن المنظور الروسي تفرض الدولة أو التحالف المنتصر في الحرب المختلطة بنجاح نظرتها للعالم وقيمها ومصالحها وفهمها للتوزيع العادل للموارد على الدولة المستهدفة، ثم تكسب الدولة المنتصرة أو من يحالفها مقاليد السلطة.

وتتضمن معظم تعريفات الروسية للحرب الهجينة الغايات والوسائل المقصودة لهذا النهج؛ وهي هدفها التأثير على سياسات الدول الغربية وغيرها من الدول الإقليمية أو خلق

ذريعة لعمل عسكري تقليدي صريح، أما الوسائل "فهي الاستيلاء على الأراضي دون اللجوء إلى العلنية أو القوة التقليدية العسكرية كما حدث في شبه جزيرة القرم سنة 2014" (clark، 2020، صفحة P 16).

2- الحرب الهجينة من وجهة نظر غربية: يرى المركز الأوروبي لمكافحة التهديدات المختلطة للحرب للهجينة غرضا أساسيا منها يتمثل في كونها " تقويضا أو إضعافا لمستوى الهدف من خلال التأثير في القرارات على المستويات المحلية أو الإقليمية أو الحكومية أو المؤسساتية عن طريق الاستهداف المعتمد لنقاط الضعف النظامية للدولة والمؤسسات الديمقراطية ووسائلها من خلال مجموعة واسعة من الوسائل (السياسية، العسكرية، الاقتصادية، الإعلامية) التي تستغل الوجهات المختلفة (Magnuson, Keay, & Metchlf, 2022, p. 31) .

فالحرب الهجينة حسب الولايات المتحدة وحلف الناتو ترتبط ارتباطا وثيقا بالحروب غير النظامية التي تتضمن صراعا عنيفا بين الجهات الحكومية وغير الحكومية من أجل الشرعية والتأثير على السكان المعنيين، وهي " عملية الإخلال بالنظام والتخريب السياسي للحكومة أو المنظمات غير الحكومية وإساءة استخدام العمليات القانونية والفساد المالي كجزء من أهدافها لتحقيق ميزة استراتيجية.

ولما كان للغرب بادرة القوة والعلم في كثير من الميادين؛ فقد أدرج مفهوم التهديدات الهجينية في المعجم الاستراتيجي للحرب، وذلك حين اعتمده حلف الناتو عام 2010 في انتهاج استراتيجيات فعالة لمعالجة طبيعة هذه التهديدات، كما أدرج الناتو مفهوم التهديدات الهجينة في قاموسه السياسي وفي مدركاته لها، وخصص لها فقرة كاملة من البيان الختامي لقمته المنعقدة بنيويورك (بن عنتر، 2014، صفحة 102).

المحور الثاني: الحرب الهجينية في الاستراتيجية الروسية العسكرية في أوكرانيا.

سعت روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي إلى بلورة استراتيجيتها من خلال إعادة صياغة أهداف سياستها الخارجية التي يرجع الفضل فيها إلى الرئيس فلاديمير بوتين من خلال إعطاءه أولوية كبرى للعامل الجيوسياسي كمحدد فاعل في الاستراتيجية الروسية.

أولا: حيثيات الأزمة الأوكرانية:

منذ سنوات وأوكرانيا تطالب الغرب بتسريع انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي وحلف الشمال الأطلسي (الناتو)، وتعتبر ذلك حقا سياديا لها، بينما روسيا تراه خطرا على أمنها؛ فهي لا تزال تتذكر التاريخ القديم، وتعتبر أوكرانيا مجرد أرض تابعة لها. حين كانت روسيا القيصرية تسيطر على معظم الأراضي الأوكرانية وتطلق عليها اسم "روسيا الصغيرة' (العبيدي ، 2022)، لذلك ظلت روسيا في خلاف مع كييف منذ وصول حكام موالين للغرب إلى مقاليد السلطة فيها عام 2014، خاصة بعد ضمّ روسيا لشبه جزيرة القرم بعد حرب الانفصالين الموالين فيها لروسيا مع أوكرانيا، وكذلك ما جابهته الجيوش الأوكرانية من نزاعات حادة مع الانفصالين في منطقتي "دونباس" و"لوهانسك" منذ ضم روسيا للقرم (http://www.alaraby.com/news/، 2022).

ثمّ تجدّد التصعيد في الأزمة مع الآونة الأخيرة؛ حيث غزت روسيا أوكرانيا بشنّ أكبر هجوم عسكري في المنطقة منذ الحرب العالمية الثانية في محاولة منها الاستيلاء على المدن الأوكرانية الكبرى لاسيما العاصمة كييف، وقد جهز الرئيس بوتين القوة النووية الروسية ووضعها في حالة تأهب، وهذا ما أثار مخاوف العالم خاصة القوى الكبرى، وأدى إلى هروب الألاف من الأوكرانيين تخوفا من تصعيد الأزمة (Bowen, 2022, p. 02).

وبعد الأزمة الأوكرانية عام 2014 والتدخل الرّوسي في شؤون أوكرانيا، اعتبر الاتحاد الأوروبي تصرف روسيا بما فيه هجمات القرصنة على البرلمان الألماني عام 2015 كجزء

من حرب الكرملين الهجينة، وكذلك السياسة الخارجية الروسية بشكل عام في كل من أوكرانيا، أوروبا، فنزويلا، ليبيا والولايات المتحدة الأمريكية، وهي انعكاس لتدخل روسيا الصريح في الدول الغربية(Tsygnkov, Tsygankov, & Ganzales, 2021) .

ثانيا: أهمية أوكرانيا الجيوستراتيجية لدى روسيا:

تعدّ أوكرانيا دولة محورية جيوبوليتية هامة فيما يسمى مجازا برقعة الشطرنج الأوراسية، وبالتالي فوجدوها كدولة مستقلة، يساعد على تحويل موقف روسيا، وفي هذا يرى بريجنسكي "أن روسيا دون أوكرانيا لا تشكل إمبراطورية أوراسية، وروسيا بوجود أوكرانيا تستطيع أن تتابع السعي إلى أن تكون ذات وضع أو هيبة إمبراطورية" (بريجنسكي ، 1999، صفحة 46).

وفي سلسلة من الأحداث الكبرى عام 1989 إلى 1991، زادت الأهمية الاستراتيجية لأوكرانيا بعد انهيار كتلة أوروبا الشرقية وحلف وارسو والاتحاد السوفياتي الذي أنهى الحرب الباردة. وحين أعلنت أوكرانيا عن استقلالها عام 1991، لم يكن لروسيا أي وسيلة تتحدى بها هذا الاستقلال، فأوكرانيا تعني الكثير لها وللقومية الروسية؛ فقد كانت كييف وضواحيها أول موطن للروس قبل موسكو، وكانت أوكرانيا في القرن العاشر ميلادي المهد الأول للكنيسة الأرثوذكسية الروسية (نافع، 2014).

كما أنّ أوكرانيا كانت موقعا حربيا للقواعد الأمريكية والروسية أيضا، فهي تعد أكبر تمركز روسي في العالم خارج روسيا، كما أنها امتداد طبيعي للصناعة والزراعة الروسية، إضافة إلى أنها مركز عبور الغاز الروسي إلى أوروبا ونقطة اتصال لمعظم البنى التحتية للصناعات الروسية، سواء عن طريق خطوط الأنابيب أو الطرق والسكك الحديدية. وتكمن أهميتها أيضا من كونها تعطي روسيا القدرة على مدّ نفوذها السياسي والعسكري

والاقتصادي إلى دول شرق أوروبا والقوقاز والبحر الأسود، وهي بوابة روسيا؛ حيث تمكنها من استعادة نفوذها ومن سيطرة أسطولها على المنطقة (حداد، 2018/2019، صفحة 157).

وبهذا تسعى روسيا إلى إبراز مكانتها الدولية والإقليمية من خلال تحقيق أهدافها الجيو-ستراتيجية عن طريق الحفاظ على نفوذها الجيوسياسي على الدول المجاورة وأهمها أوكرانيا.

ثالثا: الحملة الرّوسية على أوكرانيا كجيل جديد من الحروب الهجينة:

تعدّ حملة روسيا على القرم مثالا للتواصل الاستراتيجي؛ فهي تتشابه مع تدخلها في "أوسيتيا الجنوبية" وأبخازيا عام 2008، وفي الوقت نفسه تختلف عنها في تجسيد التنفيذ العملي للمبادئ التوجيهية العسكرية الجديدة منذ عام 2020؛ إذ يمكن قياس مستوى نجاحها في غضون ثلاث أسابيع فقط. وقد انتهجتها روسيا فعليا ضد أوكرانيا؛ حيث انهارت الروح المعنوية للجيش الأوكراني واستسلمت جميع قواعده، فبدلا من الاعتماد على النشر المكثف للدبابات المدفعية، نشرت روسيا في حملة القرم أقل من 10000 جندي من قوات الهجومية، ومعظمهم من المشاة المتمركزين في الجزيرة، ومدعومين بعدد قليل من كتائب القوات المحمولة جوا وقوات "كوماندرو سبيتسناز spetsnoz commandos" " ضدّ 16000 من العسكريين الأوكرانيين.

وبعد منع القوات الأوكرانية من قواعدها، بدأ الرّوس المرحلة العملياتية الثانية التي تعتمد على الحرب النّفسية والتّرهيب والرشوة والدعاية عبر الأنترنت ووسائل الإعلام قصد تقويض المقاومة مع تجنب استخدام القوة النارية، كما تميزت العملية أيضا بالانضباط الكبير للقوات الروسية وعرض7 BTR-80، وهي مركبة روسية برمائية، مزودة بالنظام الكيميائي البيولوجي، والتي تمّ تطويرها منذ منتصف الثمانينات، وعلى منتها سبعة جنود يحملون سترات واقية ومدرعات خفيفة، وقد أثمرت انتصارا عسكريا واضحا

في ساحة المعركة نتيجة تفعيل حملة منسقة من الاتصالات باستخدام تكتيكات سياسة ونفسية ومعلوماتية وعسكرية واضحة ضمن ما يسميه المفكرون الرّوس ب"حرب الجيل الجديد".

بهذا المفهوم، يمكن حصر المبادئ التوجيهية الرئيسة للقدرات العسكرية الروسية منذ عام 2020 في الاستراتيجيات الآتية:

- الانتقال من التدمير المباشر إلى الضغط والتّأثير.
- الانتقال من الإبادة الكاملة للعدو إلى التّفكيك الدّاخلي.
- الانتقال من حرب الأسلحة إلى حرب التكنولوجيا.
- الانتقال من ساحة المعركة التقليدية إلى التّرهيب والحرب النّفسية.
- الانتقال من الحرب السطحية إلى حروب الفضاء الإلكتروني واسعة النطاق.
- الانتقال من الحرب الوجيزة إلى الحروب الدائمة (Berzins, 2014, p. 12).

وبهذا فإنّ النظرة الروسية للحروب الحديثة تقوم على مبدأ أن ساحة المعركة الرئيسية هو العقل، وبالتالي يجب أن تهيمن حروب الجيل الجديد من خلال مجموعة من التغيرات، أهمها اللجوء إلى استعمال الضربات ذات الدقة العالية وطويلة المدى التي تؤدي إلى التخلي عن القتال، وإغلاق اتصال الشبكات بالتحكم في الاتصالات العالمية. وقد شرحت هذه الأفكار ضمن الصراعات المسلحة المستقبلية من رئيس قيادة الأركان الروسية العامة جيرماسوفGermasov في جريدة بونوبرومشليني، والتي نشرت عام 2013، وفيها وصف ما يسمى بحرب الجيل الجديد الذي يركز على الاستخدام المشترك للدبلوماسية والإقتصاد والوسائل غير العسكرية بدلا من شنّ الحروب المفتوحة. كما أكد هذا الجنرال الروسي، على أهمّية زيادة الوسائل غير العسكرية في تحقيق الأهداف السياسية والاستراتيجية (حداد , ، 2018/2019، صفحة 38).

رابعا: دور النظام الروسي في الحرب الهجينة ضد أوكرانيا.

يرى المحللون أنّ بوتين اعتمد بعد توليه السلطة في أبريل من عام 2000 على استراتيجية تهدف إلى دعم سلطة الدولة المركزية، وإلى تشديد قبضتها على المؤسسات الاقتصادية والسياسية وتقوية قدراتها، ثمّ شرع في إضعاف سلطة أباطرة العاصمة من سياسيين ورجال الأعمال في روسيا، كما اتجه إلى تعيين حكام الأقاليم بدلا من انتخابهم، وأحكم سيطرته على ثروة روسيا من الغاز والنفط، وقد تزامن ذلك مع ارتفاع أسعارها في السوق العالمية، وإنعاش الاقتصاد الروسي وتحسين المستوى المعيشي للأفراد، الأمر الذي زاد من شعبية بوتين داخليا بشكل غير مسبوق، وهو ما انعكس جليا في سياسة روسيا الخارجية.

وبذلك أسهمت السرعة التي استعادت بها روسيا مكانتها الاقتصادية والدولية والحفاظ على ترسانتها النووية في تعزيز مكانتها والرجوع كقوة عظمى في السّاحة الدولية، وقد عمل بوتين على هذا من خلال رفضه أن يكون لبلاده دورا هامشيا في القرارات والمؤسسات الدولية المعاصرة وعدم السماح لأمريكا بالتفرد في الهيمنة والسّيطرة العالمية (حسن محمد، 2016، صفحة 284).

ولهذا فإنّ موقع روسيا المترامي الأطراف جعلها تركز على البعد الجيوسياسي في صياغة استراتيجيتها الجديدة، وهذا ما أبداه وزير خارجيتها مصرّحا "إننا بتخلينا عن الشمولية، فقد مهدنا الطريق للواقعية البراغماتية ....وسرعان ما أدركنا أن الجغرافيا السياسية قد حلت محل الأيديولوجية، لذلك فإن المنافسة الروسية اليوم تتجلى على الموارد مع القوى العالمية الكبرى حول البحر الأسود، بحر قزوين، بحر البلطيق والتنافس مع الصين للسيطرة على آسيا الوسطى، ناهيك عن تشابك المصالح في أوروبا الشرقية على خلفية الأزمة الأوكرانية وما ترتب عنها من دخول شبه جزيرة القرم الغنية بالنفط والثروات

الطبيعة في هيكل الاتحاد الروسي، فهم يعملون على تحويل هذه القوة إلى آلية ضغط لتحقيق مصالحها الوطنية . (حداد , ، 2018/2019، صفحة 14).

ولعلّ المرجع الأول والسند السياسي الواضح في اتباع روسيا هذا النهج الحديث في الصراع الجيوبوليتيكي والحروب، هو ما يتمتع به الرئيس فلاديمير بوتن من خبرة سياسية طويلة منذ توليه مقاليد السّلطة الروسية وصلته بخبايا الحرب الباردة ومخلفاتها العالمية، إضافة إلى كاريزما شخصيته العسكرية بامتياز، والتي تجلت في كثير من المواقف الدولية والجرأة الحربية وقدرة المعارضة السياسية لقرارات الاتحاد الأوروبي وأمريكا وحتى مجلس الأمن.

ولم يكن هذا من خلال السياسة الخارجية فحسب، بل من خلال التطور التقني العالي الذي استثمره بوتين في سياسات الحرب والتّسلح ومختلف التجهيزات الحديثة عبر التكنولوجيا، يضاف إلى هذا كله، عاملين مهمين؛ يتمثّل الأول في النمو الاقتصادي والسيطرة على معدلات الإنتاج الزراعي والتّصنيع العالمية، ويتمثل الثّاني في تجهيز بوتين للأرضية السياسية الملائمة لهذا التوجه عبر سياسة تعين لا انتخاب حكام المقاطعات الروسية وكسب ولائهم، وإضعاف شوكة أي متمرد منهم دون نسيان ما أسسه من علاقات متينة مع كثير من دول آسيا وإفريقيا خاصة الطاقوية منها.

ارتبط اسم الرئيس بوتين بالحرب الهجينة مثلما ارتبط أدولف هتلر بالحرب العالمية الثانية، وقد جرب بنجاح الجيوش الإلكترونية في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وفرض وجود القوات الروسية في ليبيا وإفريقيا من خلال مجموعة "فاغنر" شبه العسكرية، وحرب الجيش النظامي والقوات الجوية في سوريا ،ومحاولات القوة الناعمة في صراع "ناغورنو كارباخ" الأخير بين جورجيا وأرمينيا، ولعب دورا رئيسيا في بيلاروسيا لإنقاذ الرئيس "ألكسندر لوكاشنكو" من انتفاضة شعبية ضد استمراره في الحكم منذ1994،

لكن عندما تعلق الأمر بأوكرانيا اختار بوتين القوة العسكرية لإيمانه بأن الرهان والنتيجة حاسمان ويستحقان عناء التصرف بهذه الطريقة. (رباحي، 2022)

المحور الثالث: موقف الفواعل الدولية من حرب أوكرانيا وفق أهميتها الجيوستراتيجية.

غالبا ما تمثّل الجغرافيا المسرح الذي تتصادم عليه الدول لما لها من أبعاد اقتصادية وسياحية وأهمها العسكرية، وإذا كانت أوكرانيا تتمتع بهذه الأهمية الجيوسياسية، فلا شكّ أن أزمتها الحالية تخلق قلقا دوليا عامّا خاصة في ظلّ أهمية الدولتين وأوكرانيا تحديدا في صادرات الإنتاج الزراعي الأساسية كالقمح مثلا وفي ظلّ امتلاكها لمعابر ومنافذ الطاقة خاصة نحو أوروبا، ولا يختلف تأثير أزمة أوكرانيا في هذا الجانب على دول العالم الثالث على تأثيرها في أوروبا وأمريكا وندرة كثير من المواد الاستهلاكية وزيادة أسعار النفط والغاز، ولكننا سنركز على تأثيرها على العالم الغربي باعتباره ميزانا فاعلا من موازين القوة، وباعتبار حساسيته مع روسيا، وباعتبار ثالث يتمثل في تحركاته اتجاه الأزمة.

أولا: أهمية أوكرانيا الجيو استرتيجية لدى الاتحاد الأوروبي:

تعدّ أوكرانيا الجسر الفاصل بين روسيا وأوروبا، فبالنسبة لهذه الأخيرة، فإن مصير أوكرانيا يشكل قضية استراتيجية حاسمة، وقد كان استقلالها حجر الزاوية للنظام الأوروبي وكان إطار للسلام في حبقة ما بعد الحرب الباردة، وبالتالي فإن إخضاع أوكرانيا لروسيا بالقوة العسكرية، من شأنه أن يؤثر على النظام ومبادئه الأساسية (فيشر، 2017) المتمثلة في نبذ العنف وحرمة الحدود وتقرير المصير الشعبي، وليس الاستحواذ على مناطق النفوذ التي من شأنها أن تؤدي إلى عواقب وخيمة على الأمن ليس فقط في أوربا الشرقية، ولكن في جميع أنحاء القارة، كما يصبح لروسيا حدودا طويلة مع الاتحاد الأوروبي يجعلها تقوم بأدوار أكثر عدوانية.

فبالنسبة لأوروبا، يمثل هذا تغييرا جوهريا نحو الأسوأ تكون فيه المواجهة بدلا من التّعاون، والشّك بدلا من الثّقة، وإعادة سباق التّسلح بدلا من الحدّ منه.

ثانيا: أهمية أوكرانيا الجيوإستراتيجية لدى الولايات المتحدة الأمريكية:

تحتل أوكرانيا مكانة جوهرية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية؛ فهي تمتاز بأهمية حيوية جيوسياسية وجيوستراتيجية خاصة، لذلك بدأت أمريكا في مضايقة النفوذ الروسي، وكذا فإن موانئ أوكرانيا مهمة لحلف الشمال الأطلسي وبوارجه عند دخولها البحر الأسود، كما يشكل النفوذ الأمريكي في أوكرانيا أداة ضغط مستمرة لروسيا حتى لا تعرقل مشاريع أمريكا في المنطقة، خاصة منطقة الشرق الأوسط ومنطقة أوراسيا ذات الأهمية التاريخية والجيوسياسية.

وبهذا يعترف بريجنسكي أنّ الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، تأخر كثيرا في إدراك الأهمية الجيوبوليتيكية لأوكرانيا كدولة منفصلة، وظل هذا إلى غاية منتصف التسعينات، أين أصبحت أمريكا من الداعمين الأقوياء لهوية كييف المنفصلة، كما يذكر أن الوقت ليس مبكر جد للغرب الذي يعزز ارتباطاته الاقتصادية والأمنية بكييف ليبدأ بتحديد العقد؛ أي الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وحلف الشمال الأطلسي (الفيطيسي، 2015).

ثالثا: التحركات الاستراتيجية الغربية:

نظرا للقوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية المتنامية لروسيا، يُفترض ألا يستطيع الغرب الرّد عليها بالمثل لمنع توغلها أكثر في أوكرانيا؛ ولئن حدث هذا، فحتما سينجر عن ذلك مواجهات عسكرية تهدّد الطرفين معا. ورغم ذلك، فلا يمر استعراض روسيا للقوة العسكرية واستفزاز الغرب دون ردود أفعال منه، وبذلك يحتمل أن يعتمد الاتحاد

الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو على خطوات منظمة ومدروسة لتقويض فعالية روسيا في البوابة الشرقية لأوروبا وتقليص نشاطها العسكري.

ومن التوجهات الاستراتيجية الغربية إزاء الأزمة الأوكرانية نذكر ما يلي:

- تعزيز ثقة الغرب مع القادة الأوكرانيين الجدد، مع تعزيز وجود الناتو بالقرب من البوابة الشرقية (قدورة، 2014، صفحة 52).
- فرض عقوبات قاسية على روسيا، ولعل من أبرزها تجميد أصول البنك المركزي الروسي مما يعطل الاستفادة من حوالي 630 مليار دولار من احتياطاته، مع منع شركات الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي من أي تعاملات مالية مع البنوك الروسية، وفرض الاتحاد الأوروبي عقوبات تستهدف 70% من السوق المصرفية الرّوسية وأكبر الشركات المملوكة لدولة روسيا، كذلك فرض عقوبات اقتصادية ومالية عليها وخاصة المؤسسات والشخصيات الروسية كالرئيس بوتين وحاشيته قصد تهديد مصالحها بشكل مباشر، ناهيك عن طرد روسيا من الدول الثمانية الصناعية، ويبدو أن هذه العقوبات ستكون ضمن حزام متصاعد لردعها (روسيا وأوكرانيا: ماهي العقوبات المفروضة على موسكو، 2022).
- دعم سياسة التغريب في أوكرانيا؛ وفي ذلك اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وصندوق النقد الدولي والمؤسسات المالية الدولية الأخرى قرارات لدعم الحكومة الأوكرانية وتقديم حزمة من المساعدات المالية لها بهدف إظهار للزعماء الأوكرانيين ذي التوجه الغربي بأن الغرب قادر على تحسين الأوضاع الاقتصادية المتردية في دولتهم، والتي خلفتها روسيا منذ سنوات.
- النشر الواسع لقوات حلف الناتو من خلال إقامة جسر دائم من الجنود لضمان أمن الدول المجاورة لروسيا مثل دول البلطيق وحماية الأقليات الروسية في هذه الدول لإضعاف ذرائعها التي تتدخل بحجة تقديم الحماية مثلما حدث في أوكرانيا.

- التقليل التدريجي من اعتماد الاتحاد الأوروبي على الطاقة الروسية ومحاولة إيجاد مصادر بديلة لها من الغاز، والتوجه بذلك نحو قطر التي تمتلك احتياطا ضخما من هذه المادة من خلال تعزيز علاقات الشراكة معها، ولعل هذا ما يفسر هدف روسيا من التدخل في سوريا من تعطيل أطماع الغرب في نقل الغاز القطري عبر الأنابيب إلى سوريا ثمّ أوروبا.

- تجديد التحالف الأمريكي السّعودي، فلم تكن زيارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما سنة 2014 لمعالجة قضايا ثنائية بالدرجة الأولى كما روج لذلك، وإنما كانت بدواعي الدور النفطي الذي تتمتع به السعودية بوصفها المصدر الأكبر في هذا المجال. (قدورة، 2014، صفحة 53).

- تجديد التحالفات الغربية في جنوب آسيا وشرقها ضمن مناطق "الحزام المحيط"، والتي تتكون من باكستان، كوريا الجنوبية، اليابان، إضافة إلى تأكيد الغرب على حاجة تركيا التي تمثل لها شبه جزيرة القرم أهمية استراتيجية وتاريخية وقد خاضت من أجلها حروبا طويلة مع روسيا في العقود الفارطة، كما كان تركيا بالنسبة للغرب حاجزا بينه وبين روسيا طوال فترة الحرب الباردة، ويبدو أن الحاجة إلى هذا الحاجز قد تجددت، بل من المحتمل أن يزداد التعاون الغربي مع تركيا في المجال العسكري والأمني، كما جددت الأزمة الأوكرانية حاجة تركيا إلى تحالفات جديدة مع الغرب بعدما حاولت إعادة توجيه سياستها الخارجية تجاه الشرق، مع حفاظها على التوجه الغربي طوال السنوات الماضية. (قدورة، 2014، صفحة 53). ولعل هذا كله، ما يجعل دور الفاعل التركي مهما واستراتيجيا في مسار الأزمة الأوكرانية، وفي مساعي انفراجها.

الخاتمة:

ومما سبق يمكن القول أنّ دراسة الاستراتيجية العسكرية الروسية اتجاه أوكرانيا تؤكد أهمية السياسة الخارجية الروسية وموقفها في استعادة دورها الفعال على الساحة

الدولية، لذلك اعتمدت الدراسة على تحليل نموذج الحرب الهجينة الذي يعدّ حجر الزاوية في فهم الاستراتيجية العسكرية الروسية في الأزمة الأوكرانية، وما تسعى إليه روسيا جاهدة لتأمين مصالحها الحيوية في المنطقة من خلال تأثيرها الإقليمي على دول الجوار خاصّة أوكرانيا لما تتمتّع به من أهمية جيو- ستراتيجية والتي طالما كانت محل اهتمام دولي.

ومن خلال تحليلنا للجانب المفاهيمي والتطبيقي في هذه الدراسة، توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها في الآتي:

- ترى روسيا في أوكرانيا مجالا حيويا وامتدادا طبيعيا لإمبراطوريتها السوفياتية السّابقة.
- أصبحت الحرب الهجينة من منظور الفكر العسكري الروسي السياسة العسكرية الأكثر فعالية في الوقت الراهن.
- استطاعت روسيا من خلال تدخلها العسكري في أوكرانيا أن تحقق جزء من أهدافها الاستراتيجية المتمثلة في إخضاع السيطرة على دول الجوار.
- اعتمدت روسيا على آلية الحرب الهجينة من خلال اعتمادها على مقاربة شاملة تمزج بين ما هو عسكري وغير عسكري.
- تعدّ الحرب الروسية على أوكرانيا أزمة دولية لا تقتصر تداعياتها على الجانب العسكري بين الدولتين فقط، وإنما تتداعى أزمة إقليمية وعالمية تضرب بمخلفاتها موازين القوى الاقتصادية تبعا لمكانة أوكرانيا في اقتصاد العالم.
- تهدف جميع المساعي الدولية في حل الأزمة إلى إعادة التوازن بهذه المنطقة الجيواستراتيجية وتحقيق بعض المكاسب والأطماع، فهل ستؤدي مستقبلا إلى حلول جذرية لها أم ستظل الاستراتيجية الروسية مهيمنة من خلال سياسية الحرب الهجينة؟
-

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المراجع باللغة العربية:

1-أسماء حداد. (ديسمبر, 2017). الحروب الهجينة: الأزمة الأوكرانية نموذجا. *مجلة مدارات سياسية*، صفحة 116.

2-أسماء حداد. (2018/2019). الاستراتيجية الروسية في ادارة الأزمة الأوكرانية-تحليل نموذج الحرب الهجينة. *اطروحة دكتوراه غير منشورة*. كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة الجزائر 03.

3-الأنصاري الزيداني. (25 09, 2021). *الحرب الهجينة ... ثورة المفاهيم الاستراتيجية*. تم الاسترداد من مجلة المسلح: https://defensearabia.com/2021/09/

4-الحرب الهجينة ..ماهي؟ وهل تخوضها روسيا في أوكرانيا؟ (23 02, 2022). تم الاسترداد من الحرة: https://www.alhurra.com/arabic-and-international

5-الفيطيسي, م .(05 03, 2015) .*الازمة الاوكرانية بين المطرقة الامريكية والسندان الروسي* Récupéré sur شبكة النبأ المعلومات: https://m.annabaa.org/arabic/strategicissues/1206

6-اوفير فريدمان. (2020). *الحرب الهجينة الروسية: الطفرة والاستخدام السياسي*. مركز نورس للدراسات.

7-بشير نافع. (17 03, 2014). *الازمة الاوكرانية تفجر الصراع على اوروبا من جديد*. تم الاسترداد من مركز الجزيرة للدراسات: https://studies.aljazeera.net/en/node/3662

8-جبريل العبيدي . (09 03, 2022). *اوكرانيا..أزمة لها جذور* . تم الاسترداد من الشرق الأوسط: https://aawsat.com/home/article/3519596/

9-جذور تاريخية... كيف وصلت الأزمة الروسية الى الحرب Récupéré sur .(24 02, 2022) .العربي: http://www.alaraby.com/news/

10-جمال عمرو صدقي. (03 05, 2015). *ماهي الحرب الهجينة ؟ولماذا يجب ان نفهمها* . تم الاسترداد من اضاءات: https://www.ida2at.com/all-you-need-to-know-about-hybrid-warfare/

11-حداد, ا .(2019/2018) .الاستراتيجية الروسية في ادارة الازمة الاوكرانية -تحليل نموذج الحرب الهجينة . كلية الحقوق والعلوم السياسية, جامعة الجزائر03: اطروحة دكتوراه غير منشورة.

12-روسيا وأوكرانيا: ماهي العقوبات المفروضة على موسكو. (09 03, 2022). تم الاسترداد من BBC: https://www.bbc.com/arabic/world-61950945

13-زبيغينو بريجنسكي . (1999). *رقعة الشطرنج الكبرى: السطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيوستراتيجيا*. دمشق: مركز الدراسات العسكرية.

14-عبد النور بن عنتر. (04 10, 2014). *تهديدات هجينة* . تم الاسترداد من العربي الجديد: http://www.alaraby.co.uk/

15-عماد قدورة. (2014). محورية الجغرافيا والتحكم في البوابة الشرقية للغرب: أوكرانيا بؤرة صراع. *مجلة سياسات عربية، 09*.

16-فيشر, ي .(17 03 ,2017) .*اروبا والروح الاوكرانية* Récupéré sur .الجزيرة: http://www.aljazeera.net/opinions/2014/10/2/

17-وليد حسن محمد. (جانفي, 2016). دور الرئيس بوتين في رسم الاستراتيجية الروسية الجديدة. *مجلة دراسات دولية*(64).

18- رباحي توفيق.(2022/02/28)، لماذا فضل بوتين الضربة القاضية على الحرب الهجينة. تم الاسترداد من القدس: https://www.alquds.co.uk/

ب. المراجع باللغة الإنجليزية:

1-Berzins, J. (2014, 2014). Russia's new generation warfare in ukraine: implication for latvian defense. policy paper(02). Récupéré sur national defonce academy of latvia.

2-Bowen, A. (2022, 04 13). Russia's war in ukraine:military and intelligence aspects. congressional research service.

3-clark, M. (2020). Russian Hybrid Warfare. USA: the institute for the study of war.

4-Harvey, L. (2016). the bear went under the mountain: hybrid warfare and the case ofthe russia-ukraine. canadian forces college.

5-John, G., Jocobs, M., & Kitzen, M. (2021, 01 11). Hybrid warfare. Récupéré sur oxford bibliographied: https://www.oxfordbibliographies.com/view/document/obo-9780199743292/obo-9780199743292-0260.xml

6-Magnuson, s., Keay, M., & Metchlf, K. (2022, spring). Countering hybrid warfare mapping social contracts to reinforce societal resiliency in estonia and beyond. taxas national security revieu, 05(02).

7-Tsygnkov, A., Tsygankov, P., & Ganzales, H. (2021, 05 26). Global Hybrid War. Récupéré sur Global Affairs: http://eurasiaar.org/article/putins-global-hybrid-war/